تفسير الفاتحة للقرطبي

"دراسة لغوية"

إعداد

دكتور / محمود عبد العزيز محمد

أستاذ النحو والصرف المساعد

بكلية الآداب - جامعة أسيوط

مقدمة البحث

إن الجانب اللغوي من أهم جوانب تفسير القرآن لذا كانت بدايات التفسير هي كتب لغوية للغويين ونحاة فكان مجاز القرآن لأبي عبيدة ، ومعاني القرآن للأخفش ، ومعاني القرآن للفراء ، ثم معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، ثم معاني القرآن للنحاس ، وله أيضا إعراب القرآن .

ولا يخلو تفسير من هذا الجانب اللغوي إذ إن القرآن لغة فلا بد عند تفسيره أن يعود المفسر إليها ، إلا أن بعض المفسرين أكثر عناية بالجانب اللغوي من بعضهم الآخر ، ومن كتب التفسير التي عني أصحابها باللغة عناية كبيرة كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

وقد اخترت للبحث تفسيره لسورة الفاتحة الجانب اللغوي فيه ، وسورة الفاتحة رغم قصرها إلا أن الجانب اللغوي في تفسيره القرطبي لها واضح وكبير ، وقد قسمت الدراسة مباحث أربعة :

- المبحث الأول : الشواهد القرآنية .
- المبحث الثاني : شواهد الحديث .
- المبحث الثالث : الشواهد الشعرية
- المبحث الرابع : مسائل خلافية .
- ثم عرضت في النهاية خلاصة للبحث تناولت فيها بإيجاز بعضا من نتائج البحث .

المبحث الأول
الشواهد القرآنية

استشهد القرطبي في تفسيره للفاتحة في الجانب اللغوي فيه بنحو أربعين آية من آيات الذكر الحكيم ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عناية القرطبي الكبيرة بتفسير القرآن بالقرآن حيث استشهد بأربعين آية في تفسير سبع آيات فقط ، وأعرض لذلك على النحو التالي :

- في تفسيره للاستعاذة قال : " والرجم : القتل واللعن والطرد والشتم ؛ مستشهدا بقوله تعالى : ﴿ قَالُواْ لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾[2].
- وفي إعرابه للبسملة قال القرطبي : " وقيل : الخبر محذوف ، أي ابتدائي مستقر أو ثابت بسم الله ، فإذا أظهرته كان " بسم الله " في موضع نصب بثابت أو مستقر ، وكان بمنزلة قولك : زيد في الدار مستشهدا بقوله تعالى : ﴿فَلَمّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَـذَا مِن فَضْلِ رَبّي لِيَبْلُوَنِيَ أَأَشْكُرُ أَمْ

---

(١) الشعراء ١١٦

(٢) مريم ٤٦ ، تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م : ٩٠/١

أَكْفُرُ﴾[٣] ومفسرا ذلك بقوله : " فـ "عنده " في موضع نصب ، روى هذا عن نحاة أهل البصرة [٤].

- وعن لفظ الجلالة ؛ عن دلالته قال : " قوله : " الله " هذا الاسم أكبر أسمائه سبحانه وأجمعها ، حتى قال بعض العلماء : إنه اسم الله الأعظم ولم يتسم به غيره ، لذلك لم يثن ولم يجمع ، وهو أحد تأويلي قوله تعالى: ﴿رَبّ السّمَاوَاتِ وَالأرض وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾[٥]أي من تسمى باسمه الذي هو " الله " .
- أما عن اشتقاق لفظ الجلالة وبنيته الصرفية فقد قال القرطبي : " وقال الكسائي والفراء : معنى " بسم الله " بسم الإله ، فحذفوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى في الثانية فصارتا لاما مشددة ، وقد استشهد على ذلك بقوله عز وجل : ﴿لّكِنّ هُوَ اللّهُ رَبّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبّي أَحَداً﴾[٦]ومعناه : لكن أنا ، كذلك قرأها الحسن [٧].
- وذكر وجها آخر : " وقيل: هو مشتق من أله الرجل إذا تنسك ، مستشهدا بقوله تعالى : ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾[٨] وذكر أن ابن عباس وغيره قالوا : وعبادتك .

---

(٣) النمل ٤٠

(٤) تفسير القرطبي ٩٩/١

(٥) مريم ٦٥

(٦) الكهف ٣٨

(٧)تفسير القرطبي ١٠٢/١

(٨) الأعراف ١٢٧

- واستشهد في تفسيره لـ (الرحمن الرحيم) بعدة آيات فقال : " وأيضا لو كان (الرحمن)مشتقا من الرحمة [٩] لم تنكره العرب حين سمعوه ، إذ كانوا لا ينكرون رحمة ربهم ، فمن قال ذلك استشهدا على ذلك بقوله تعالى : " ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـنِ قَالُواْ وَمَا الرَّحْمَـنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَـا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾ [١٠] ورد على ذلك الرأي بقوله : " قال ابن العربي : إنما جهلوا الصفة دون الموصوف ، واستدل على ذلك بقولهم : وما الرحمن ؟ ولم يقولوا : ومن الرحمن ؟ كما رده ابن الحصار مستشهدا بآية أخرى ؛ قال " وكأنه رحمه الله لم يقرأ الآية الأخرى : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَـنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لآ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [١١] فـ " الرحمن " خاص الاسم عام الفعل ، و" الرحيم " عام الاسم خاص الفعل ؛ هذا قول الجمهور " [١٢].
- وفيه أيضا قال القرطبي : " كثر العلماء على أن " الرحمن " مختص بالله عز وجل ، لا يجوز أن يسمى به غيره ، وقد استشهد على ذلك بقول تعالى : ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ [١٣] فعادل الاسم الذي لا يشركه فيه غيره [١٤]، واستشهد أيضا بقوله تعالى : ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك

(٩) تفسير القرطبي ١٠٣/١
(١٠) الفرقان ٦٠
(١١) الرعد ٣٠
(١٢) تفسير القرطبي ١/ ١٠٤
(١٣) الإسراء ١١٠
(١٤) تفسير القرطبي ١٠٦/١

من رسلنا أجعلنا مـن دون الـرحمن آلهـة يعبـدون﴾[١٥] " فـأخبر أن " الرحمن " هو المستحق للعبادة جـل وعز .

- وفي قوله تعالى : ﴿رب العالمين﴾[١٦]قال القرطبي : " وقيـل العـالمين : أهل كل زمان عالم ، قاله الحسين بن الفضل ، مستشهدا بقولـه تعـالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[١٧]أي من الناس .
- وقال القرطبي : " وقال ابن عباس : العالمون الجن والأنس ، دليله قوله تعالى: ﴿ليكون للعالمين نذيرا﴾[١٨]ولم يكن نذيرا للبهائم[١٩].
- ثم قال : " والقول الأول أصح هذه الأقوال ؛ لأنه شـامل لكـل مخلـوق وموجود ، دليله قوله تعالى : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٢٠] ثم قال: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ﴾[٢١]ثـم هـو مأخوذ من العلم ، والعلامة ؛ لأنه يدل على موجده .
- وفي قوله تعالى : ﴿الرحمن الرحيم﴾[٢٢]قال القرطبي : " وصـف نفـسه تعالى بعد" رب العالمين " بأنه " الرحمن الرحيم " لأنه لما كان في اتصافه

---

(١٥) الزخرف ٤٥
(١٦) الفاتحة ٢
(١٧) الشعراء ١٦٥
(١٨) الفرقان ١
(١٩)تفسير القرطبي ١٣٨/١
(٢٠) الشعراء ٢٣
(٢١) الشعراء ٢٤
(٢٢) الفاتحة ٣

بـ "رب العالمين " ترهيب قرنه بـ " الرحمن الرحيم "، لما تضمن من الترغيب ، ليجمع في صفاته بين الرهبة منه ، والرغبة إليه ، فيكون أعون على طاعته وأمنع ، كما قال : ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٣] ثم قال تعالى : ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾[٢٤] وقال تعالى : ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [٢٥].

- وفي " الرحيم " ذكر قول أبي على الفارسي : " الرحمن " اسم عام في جميع أنواع الرحمة ، يختص به الله ، و"الرحيم " إنما هو في جهة المؤمنين ، مستشهدا بقوله تعالى : ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾[٢٦].
- وفي قوله تعالى : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٢٧] قال القرطبي : " وقال أبو علي : حكى أبو بكر بن السراج عن بعض من اختار القراءة بـ " ملك " أن الله سبحانه قد وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله : " رب العالمين" فلا فائدة في قراءة من قرأ " مالك"؛ لأنها تكرار ، قال أبو على : ولا حجة في هذا ؛ لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة ، تقدم العام ثم ذكر الخاص كقوله ﴿ هو الله الخالق البارئ المصور ﴾[٢٨] فالخالق يعم؛ وذكر

(٢٣) الحجر ٤٩
(٢٤) الحجر ٥٠
(٢٥) غافر ٣ ، تفسير القرطبي ١٣٩/١
(٢٦) الأحزاب ٤٣ ، تفسير القرطبي ١٤٠/١
(٢٧) الفاتحة ٤
(٢٨) الحشر ٢٤

المصور لما فيه من التنبيه على الصنعة ووجود الحكمة ، وكما قال تعالى: ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾[٢٩]بعد قوله :﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾[٣٠].

- قال القرطبي : " ويتضمن أيضا الكمال ، ولذلك استحق الملك على من دونه ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيّهُمْ إِنّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُواْ أَنّىَ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مّنَ الْمَالِ قَالَ إِنّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣١].
- وقال : " ويتضمن الاقتدار والاختيار وذلك أمر ضروري في الملك، إن لم يكن قادرا مختارا نافذا حكمه وأمره ، قهره عدوه وغلبه غيره وازدرته رعيته ، ويتضمن البطش والأمر والنهي والوعد والوعيد ، ألا ترى إلى قول سليمان عليه السلام في قوله تعالى : ﴿وَتَفَقّدَ الطّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَآئِبِينَ ۞ لأُعَذّبَنّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنّي بِسُلْطَانٍ مّبِينٍ﴾ [٣٢] إلى غير ذلك من الأمور العجيبة ، والمعاني الشريفة التي لا توجد في المالك .
- وقال القرطبي : " قال ابن الحصار : وكذلك " ملك يوم الدين " و " مالك الملك " لا ينبغي أن يختلف في أن هذا محرم على جميع المخلوقين

(٢٩) البقرة ٤
(٣٠) البقرة ٣
(٣١) البقرة ٢٤٧
(٣٢) النمل ٢٠، ٢١ ، تفسير القرطبي ١٤١/١

كتحريم ملك الأملاك سواء ، وأما الوصف بمالك وملك فيجوز أن يوصف بهما من اتصف بمفهومهما ، قال الله العظيم : ﴿ إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴾[٣٣].

- وفي قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٣٤]قال القرطبي : "رجع من الغيبة إلى الخطاب على التلوين ؛ لأن من أول السورة إلى هاهنا خبرا عن الله تعالى وثناء عليه ، كقوله تعالى : ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوَاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾[٣٥] ثم قال تعالى : ﴿إِنَّ هَـذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً﴾[٣٦].وعكسه في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىَ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [٣٧].
- وفي قوله تعالى : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [٣٨]قال القرطبي : " وقيل المعنى : أرشدنا باستعمال السنن في أداء فرائضك، وقيل : الأصل فيه الإمالة ، ومنه قوله تعالى : ﴿إنا هدنا إليك﴾[٣٩]أي ملنا[٤٠] .

---

(٣٣) البقرة ٢٤٧

(٣٤) الفاتحة ٥

(٣٥) الإنسان ٢١

(٣٦) الإنسان ٢٢

(٣٧) يونس ٢٢ ، تفسير القرطبي ١٤٥/١

(٣٨) الفاتحة ٦

(٣٩) الأعراف ١٥٦

(٤٠)تفسير القرطبي ١٤٧/١

- وقال القرطبي : " الصراط نصب على المفعول الثاني ؛ لأن الفعل من الهداية يتعدى إلى المفعول الثاني بحرف جر، قال الله تعالى : ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾[٤١]وبغير حرف كما في هذه الآية ".
- ثم قال: " المستقيم صفة للصراط ، وهو الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٤٢]وأصله مستقوم ،نقلت الحركة إلى القاف، وانقلبت الواو ياء؛ لانكسار ما قبلها " .
- وقال القرطبي : " واختلف الناس في المنعم عليهم ، فقال الجمهور من المفسرين : إنه أراد صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وانتزعوا ذلك من قوله تعالى : ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾[٤٣]فالآية تقتضي أن هؤلاء على صراط مستقيم ، وهو المطلوب في آية الحمد، وجميع ما قيل إلى هذا يرجع ، فلا معنى لتعديد الأقوال والله المستعان " .
- ثم قال : " فكما سألوه أن يهديهم سألوه ألا يضلهم ، وكذلك يدعون فيقولون : ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾[٤٤]" .

---

(٤١) الصافات ٢٣

(٤٢) الأنعام ١٥٣ ، تفسير القرطبي ١٤٨/١

(٤٣) النساء ٦٩

(٤٤) آل عمران ٨

- وفي قوله تعالى : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم وَلاَ الضَّآلِّينَ﴾[٤٥] قال القرطبي :" اُختلف في" المغضوب عليهم" و" الضالين" من هم ؛ فالجمهور أن المغضوب عليهم اليهود ، والضالين النصارى ، وجاء ذلك مفسرا عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عدي بن حاتم وقصة إسلامه، أخرجه أبوداود الطيالسي في مسنده ، والترمذي في جامعه ، وشهد لهذا التفسير[٤٦] أيضا قوله سبحانه في اليهود : ﴿ وباءوا بغضب من الله ﴾[٤٧]وقال تعالى : ﴿وغضب الله عليهم﴾ [٤٨]وقال في النصارى : ﴿قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾[٤٩].
- وقال القرطبي : ولا الضالين ؛ الضلال في كلام العرب هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق،ومنه: ضل اللبن في الماء أي : غاب ، ومنه قوله تعالى : ﴿أئذا ضللنا في الأرض﴾[٥٠]"أي : غبنا بالموت ، وصرنا ترابا " .

(٤٥) الفاتحة ٧
(٤٦) تفسير القرطبي ١/ ١٤٩
(٤٧) البقرة ٦١ ، آل عمران ١١٢
(٤٨) الفتح ٦
(٤٩) المائدة ٧٧
(٥٠) السجدة ١٠

- ثم قال : " لا في قوله " ولا الضالين " أُختلف فيها ؛ فقيل : هي زائدة ، قاله الطبري ، ومنه قوله تعالى : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[٥١]" .
- قال القرطبي : " وقرأ أيوب السختياني : " ولا الضألين " بهمزة غير ممدودة ، كأنه فر من التقاء الساكنين وهي لغة ، حكى أبو زيد قال : سمعت عمرو بن عبيد يقرأ قوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَآنّ﴾ [٥٢] بهمز الألف[٥٣] في جأن ، فظننته قد لحن حتى سمعت من العرب : دأبة وشأبة .
- ﴿ولا آمين [٥٤]البيت الحرام﴾[٥٥] قال الجوهري : وهو مبني على الفتح مثل أين وكيف ، لاجتماع الساكنين ، وتقول منه : أمَّن فلان تأمينا[٥٦].

(٥١) الأعراف ١٢
(٥٢) الرحمن ٣٩
(٥٣) تفسير القرطبي ١٥١/١
(٥٤) تفسير القرطبي ١٢٨/١
(٥٥) المائدة ٢
(٥٦) تفسير القرطبي ١٢٩/١

المبحث الثاني
شواهد الحديث

لم يكثر القرطبي من الاستشهاد بالحديث في الجانب اللغوي من تفسيره لسورة الفاتحة وإن وردت عنده أحاديث في جوانب أخرى ، ولعل هذا كان منهج كثير من كتب النحو واللغة ، ومن الأحاديث التي أوردها القرطبي ما يلي :

- قال القرطبي : " وروى ابن ماجة في سننه [٥٧] والترمذي في جامعه[٥٨]عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : " من لم يسأل الله يغضب عليه " لفظ الترمذي ، وقال ابن ماجة : " من لم يَدْعُ الله سبحانه غضب عليه "[٥٩].
- قال القرطبي : " وذهب الجمهور من الناس إلى أن" الرحمن" مشتق من الرحمة مبني على المبالغة ، ومعناه ذو الرحمة الذي لا نظير له فيها، فلذلك لا يثني ولا يجمع كما يثنى" الرحيم" ويجمع ، قال ابن الحصار : ومما يدل على الاشتقاق ما خرجه الترمذي وصححه عن عبد الرحمن ابن عوف أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " قال الله عز وجل أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها

(٥٧) سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٣هـ) كتب حواشيه محمود خليل ، مكتبة أبي المعاطي ٣٨٢٧/٥

(٥٨) الجامع الصحيح سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ٥/ ٣٣٧٣

(٥٩)تفسير القرطبي ١٠٥/١

وصلته ومن قطعها قطعته"[٦٠]ولم أجد الحديث في سنن الترمذي، وهو موجود في كثير من كتب الحديث باختلاف في بعض الألفاظ [٦١]وكلها ينسبه إلى عبد الرحمن بن عوف ، وأقربها إلى ما أورده القرطبي رواية المستدرك على الصحيحين ؛ وتقول : " أخبرني أبو سهل بن زياد النحوي ببغداد حدثنا عبد الكريم بن الهيثم ثنا أبو اليمان ثنا شعيب، و ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب و اللفظ له ثنا محمد بن خالد بن خلي ثنا بشر بن شعيب حدثني أبي عن الزهري حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا الرداد الليثي أخبره قال : سمعت عبد الرحمن بن عوف يذكر : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : قال الله تبارك و تعالى أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته "[٦٢].

---

(٦٠)تفسير القرطبي ١٠٤/١

(٦١) انظر سنن أبي داود ،لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكرالعربي – بيروت : ٦٠/٢ ، ومسند أبي يعلي ، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثُنى الموصلي (ت ٣٠٧هـ) دار المأمون للتراث : ٥ /٢٥٩ ، ومسند أحمد بن حنبل ، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ، مؤسسة قرطبة – القاهرة : ٢/ ٤٩٨ ، وصحيح ابن حبان ، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي الدارمي البُستي (ت : ٣٥٤هـ) مؤسسة الرسالة : ١٨٧/٢.

(٦٢)المستدرك على الصحيحين للحاكم محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١ – ١٩٩٠(١٧٤/٤)

- قال القرطبي : " وقد فسره بعضهم على الحروف، فروى عن عثمان بن عفان أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير " بسم الله الرحمن الرحيم " فقال: " أما الباء فبلاء الله وروحه ونضرته وبهاؤه ،وأما السين فسناء الله ، وأما الميم فملك الله ، وأما الله فلا إله غيره ، وأما الرحمن ؛ فالعاطف على البر والفاجر من خلقه ، وأما الرحيم ؛ فالرفيق بالمؤمنين خاصة "[٦٣].
- وقال القرطبي : " وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد)[٦٤] .
- تعالى ، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض)[٦٥] .

---

(٦٣)تفسير القرطبي ١/ ١٠٧

(٦٤)صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ــ بيروت : ٩/٨

(٦٥)تفسير القرطبي ١٤١/١ ، صحيح البخاري ، الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري(ت ٢٥٦هـ) دار الشعب – القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٧ – ١٩٨٧ : ١٥٨/٦، وانظر أيضا السنن الكبرى للنسائي ،لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت ٣٠٣ هـ) تحقيق حسن عبد المُنعم حسن شلبي ، مؤسسة الرسالة.

- قال القرطبي : " وعنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك - زاد مسلم - لا مالك إلا الله عز وجل) قال سفيان [٦٦]: مثل شاهان شاه ، وقال[٦٧]أحمد بن حنبل : سألت أبا عمرو الشيباني عن أخنع ، فقال : أوضع ، وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه رجل كان يسمى ملك الأملاك لا ملك إلا الله سبحانه)[٦٨] ورواية البخاري : " حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ ، عَنِ الأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَخْنَى الأَسْمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ "[٦٩].
- وقال صلى الله عليه وسلم : (ناس من أمتي عرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج[٧٠]هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة)[٧١].

---

(٦٦) سفيان هذا أحد رواة الحديث .

(٦٧)تفسير القرطبي ١٤١/١

(٦٨) صحيح مسلم ١٧٤/٦، وانظر أيضا سنن البيهقي الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م : ٣٠٦/٩

(٦٩) صحيح البخاري ٥٦/٨ ، وانظر أيضا شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ) تحقيق : شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت الطبعة: الثانية ، ١٩٨٣م

(٧٠) ثبج البحر وسطه ومعظمه

- وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿مالك يوم الدين﴾ في معنى الدين قال القرطبي : " وحكى أهل اللغة: دنته بفعله دينا (بفتح الدال) ودينا (بكسرها) جزيته، ومنه الديان في صفة الرب تعالى أي المجازي، وفي الحديث: (الكيس من دان نفسه) أي حاسب [٧٢]، وتفصيل الحديث : " حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا علي بن إسحاق قال ثنا عبد الله يعني بن المبارك قال ثنا أبو بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله "[٧٣].
- قال القرطبي :" وقيل : غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، اختلف في " المغضوب عليهم " و " الضالين " من هم ؛ فالجمهور أن المغضوب عليهم

---

(٧١)موطأ الإمام مالك ، لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – مصر :٢ /٤٦٤

(٧٢)تفسير القرطبي : ١٤٤/١

(٧٣)انظر : مسند أحمد بن حنبل للإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني ، مؤسسة قرطبة – القاهرة ١٢٤/٤ . وسنن ابن ماجة ٣٢٨/٥ ، ومسند الطيالسي لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود ت ٢٠٤ هـ ،تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي دار هجر للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م ٤٤٥/٢ ، و السنن الكبرى أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند حيدر آباد الطبعة الأولى ١٣٤٤ هـ ٣٦٩/٣ ، والمستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤١١ – ١٩٩٠ ، ١٢٥/١

اليهود ، والضالين النصارى ، وجاء ذلك مفسرا عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عدي بن حاتم وقصة إسلامه ، أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ، والترمذي في جامعه [٧٤].

- ومنه الحديث : ومعنى الغضب في صفة الله تعالى إرادة العقوبة ، فهو صفة ذات ، وإرادة الله تعالى من صفات ذاته ، أو نفس العقوبة ، ومنه الحديث: (إن الصدقة لتطفئ غضب الرب) فهو صفة فعل [٧٥] والحديث له روايتان الأولى : " حدثنا عقبة بن مكرم العمي البصري حدثنا عبد الله بن عيسى الخزاز البصري عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس بن مالك: قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع عن ميته السوء "[٧٦] والرواية الثانية :" أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عُثْمَانَ بْنِ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، كَاتِبُ اللَّيْثِ، حَدَّثَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ، وَرِشْدِينُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ ثَوْبَانَ، وعَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى

(٧٤) مسند الطيالسي ٣٧١/٢ ، سنن الترمذي ٢٠٤/٥

(٧٥)تفسير القرطبي ١٥٠/١

(٧٦) سنن الترمذي ٥٢/٣ ، وشرح السنة للبغوي ١٣٣/٦

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَلَى أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ، وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ"(٧٧).

- قال القرطبي : " وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم : (لقنني جبريل آمين عند(٧٨) فراغي من فاتحة الكتاب ، وقال إنه كالخاتم على الكتاب) وفي حديث آخر : (آمين خاتم رب العالمين)(٧٩) وفي حديث آخر (آمين درجة في الجنة)(٨٠) قال أبو بكر: معناه أنه حرف يكتسب به قائله درجة في الجنة. وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معنى آمين ؟ قال : (رب افعل) ولم أجده في كتب الحديث ، بل وجدته في بعض التفاسير(٨١) .

---

(٧٧)شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي (ت ٤٥٨هـ) تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

(٧٨)تفسير القرطبي ١٢٧/١ .

(٧٩)الدعاء للطبراني ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ،الطبعة الأولى ١٤١٣هـ : ١٨٩/١، شرح السنة للبغوي ٦٣/٣ .

(٨٠)جامع الأحاديث ويشتمل على جمع الجوامع للإمام السيوطى لجلال الدين السيوطي: ١٤٨/١.

(٨١)تفسير القرطبي ١٢٨/١، بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٣هـ)

المبحث الثالث
الشواهد الشعرية

عني القرطبي بالاستشهاد بالشعر عناية كبيرة في تفسيره لسورة الفاتحة ؛ ففي سورة الفاتحة – وعدد آياتها سبعة آيات – استشهد القرطبي في تفسيرها بسبعة وأربعين شاهدا من الشعر ، وسوف أعرض في هذا المبحث لهذه الشواهد عنده محللا إياها ببيان موضع الاستشهاد فيها وعلته .

- ففي تفسيره للاستعاذة في اشتقاق كلمة شيطان قال القرطبي : " الشيطان واحد الشياطين على التكسير والنون أصلية ؛ لأنه من شطن إذا بعد عن الخير ، وشطنت داره ؛ أي : بعدت ؛ قال الشاعر :

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين[٨٢]

وموضع الاستشهاد فيه قوله : نوى شطون ؛ يعني : نوى بعيدة

- وفي معنى شيطان قال القرطبي : " وسمى الشيطان شيطانا لبعده عن الحق وتمره ، وذلك أن كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان، ثم استشهد على ذلك بقول جرير:

أيام يدعونني الشيطان من غزل وهن يهوينني إذ كنت شيطانا

ورواية الديون :

أزمان يدعونني الشيطان من غزلي وكن يهوينني إذ كنت شيطانا[٨٣]

---

(٨٢) البيت للنابغة الذبياني ، ديوان النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن مرّة بن عوف بن سعد، الذبياني، الغطفاني : ١/١٠٠

- وفي احتمال اشتقاقه من شيط قال القرطبي: "وقيل :إن شيطانا مأخوذ من شاط يشيط إذا هلك ؛ فالنون زائدة ، وشاط[٨٤]إذا احترق ، وشيطت اللحم إذا دخنته ولم تنصحه ، واشتاط الرجل إذا احتد غضبا ، وناقة مشياط التي يطير فيها السمن ، واشتاط إذا هلك ، قال الأعشى :

قد نخضب العير من مكنون فائله وقد يشيط على أرماحنا البطل

ورواية الديوان :

قد نطعن العير في مكنون فائله وقد يشيط على أرماحنا البطل [٨٥]

وفيه يشيط على أرماحنا ؛ يعني : يهلك .

- إلا أن القرطبي يرى أنه من شطن لا من شيط ؛ قال : " ويرد على هذه الفرقة أن سيبويه حكى أن العرب تقول : تشيطن فلان إذا فعل أفعال الشياطين، فهذا بين إنه تفيعل من شطن ، ولو كان من شاط لقالوا : تشيط ، ويرد عليهم أيضا بيت أمية بن الصلت :

أيما شاطن عصاه عكاه ورماه في السجن والأغلال

ثم قال : فهذا شاطن من شطن لاشك فيه " [٨٦].

---

(٨٣) ديوان جرير ، جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي الكلبي اليربوعي (ت١١٠ هـ) : ٦٦٢/١

(٨٤)تفسير القرطبي ٩٠/١

(٨٥) ديوان الأعشى ٤٨/٣

(٨٦) تفسير القرطبي ٩٠/١

- وفي تفسيره للبسملة ، وفي تعليل بناء الباء الجارة على الكسر ؛ قال : " ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسما ، نحو الكاف في قول امرئ القيس :

ورحنا بكابن الماء يجنب وسطنا تصوب فيه العين طورا وترتقي [٨٧]

وفيه الكاف اسم بمعنى مثل تقديره : بمثل ابن الماء .

- وقد ذكر القرطبي لاسم لغات ؛ قال : " وفيه أربع لغات : اسم بالكسر ، واسم بالضم ؛ قال أحمد بن يحيى : من ضم الألف أخذه من سموت أسمو، ومن كسر أخذ من سمت أسمى ، ويقال : سم وسم ، وينشد :

والله أسماك سما مباركا آثرك الله به إيثاركا[٨٨]

وقال الشاعر :

وعامنا أعجبنا مقدمه يدعي أبا السمح وقرضاب سمه

مبتركا لكل عظم يلحمه[٨٩]

سمه بالكسر والضم جميعا ، وقال الآخر :

باسم الذي في كل سورة سمه[٩٠]

---

(٨٧) ديوان امرئ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ت ٨٠ ق.هـ

(٨٨) ورد بغير نسبة في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين،الطبعة الرابعة بيروت١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: سما

(٨٩) أنشده ابن السكيت ،انظر : المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده ، تحقيق خليل إبراهم جفال دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٦م : ٤٢٥/١، ورجل مبترك : معتمد على الشيء ملح ، ويلحمه : ينزع عنه اللحم .

- وفي ألف اسم قال القرطبي : " وألفه ألف وصل ، وربما جعلها الشاعر ألف قطع للضرورة ، كقول الأحوص :

وما أنا بالمخسوس في جذم مالك ولا من تسمى ثم يلتزم الإسما[٩١]

- وفي اشتقاق لفظ الجلالة قال القرطبي : " وقيل : أصل الكلمة " لاه " وعليه دخلت الألف واللام للتعظيم ، وهذا اختيار سيبويه ، وأنشد :

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت دياتي فتخزوني [٩٢]

- وفي أصل " الرحمن " قال القرطبي : " زعم المبرد فيما ذكر ابن الأنباري في كتاب " الزاهر " له : أن الرحمن اسم عبراني فجاء معه بـ الرحيم ، وأنشد قول الشاعر :

لن تدركوا المجد أو تشروا عباءكم بالخز أو تجعلوا الينبوت ضمرانا
أو تتركون إلى القسين هجرتكم ومسحكم صلبهم رحمان قربانا[٩٣]

---

(٩٠) أنشده أبو زيد لرجل من كلب ، انظر : لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، الطبعة الأولى ، دار صادر – بيروت : سما

(٩١) لم أجده في ديوانه ، وقد ورد منسوبا إليه في لسان العرب: سما ، المخسوس : المرذول، وجذم كل شيء : أصله ، ومالك جد أعلى للشاعر ، تفسير القرطبي ١/١٠٠

(٩٢) ورد منسوبا إليه في كتب كثيرة منها : الحماسة البصرية لصدر الدين أبو الحسن علي بن أبى الفرج بن الحسين البصري ١/٣٠ ، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٨م : ٧/١٦٨

(٩٣) قائله جرير ، والينبوت ضرب من الشجر ، تفسير القرطبي ١/١٠٤

- وفي وزن الرحيم قال القرطبي : " أما فعيل فقد يكون بمعنى الفاعل كما يكون بمعنى المفعول قال علمس[٩٤]:

فأما إذا عضت بك الحرب عضة فإنك معطوف عليك رحيم

- وفي معنى الرحمن الرحيم قال القرطبي : " وقال ابن المبارك : " الرحمن " إذا سئل أعطى ، والرحيم إذا لم يسأل غضب وروى ابن ماجة في سننه، والترمذي في جامعه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : " من لم يسأل الله يغضب عليه " لفظ الترمذي ، وقال ابن ماجة: " من لم يَدْعُ الله سبحانه غضب عليه " وقد أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال :

الله يغضب إن تركت سؤله وبني آدم حين يُسأل يغضب[٩٥]

- وفي قوله تعالى ﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٩٦] قال القرطبي :
- " الحمد في كلام العرب معناه الثناء الكامل ، والألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلا ، وقد جمع لفظ الحمد جمع القلة في قول الشاعر:

وأبلج محمود الثناء خصصته بأفضل أقوالي وأفضل أحمدي

(٩٤) هو عملس بن عقيل كما في هامش بعض نسخ الأصل .
(٩٥) تفسير القرطبي ١/ ١٠٥
(٩٦) الفاتحة ٢

- فالحمد نقيض الذم ، تقول : حمدت الرجل أحمده حمدا فهو حميد ومحمود، والتحميد أبلغ من الحمد ، والحمد أعم من الشكر ، والمُحمَّد : الذي كثرت خصاله المحمودة ؛ قال الشاعر :

إلى الماجد القرم الجواد المحمد

- وبذلك سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال الشاعر :

فشقّ له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

قال القرطبي : " وروي عن ابن أبي عبلة : " الحمد لله " بضم الدال واللام على إتباع الثاني الأول ، وليتجانس اللفظ ، وطلب التجانس في اللفظ كثير في كلامهم ؛ قال الشاعر :

أضرب الساقين أمك هابل

- بضم النون لأجل ضم الهمزة ، وفي قراءة لأهل مكة " مردفين " بضم الراء إتباعا للميم ، وقالوا : لإمك ، فكسروا الهمزة إتباعا للأم ، وأُنشد للنعمان بن بشير :

ويل أمها في هواء الجو طالبة ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

- الأصل : ويل لإمها ، فحذفت اللام الأولى واستثقل ضم الهمزة بعد الكسرة فنقلها للأم ثم أتبع اللام الميم .
- وفي الصحاح : والرب اسم من أسماء الله تعالى ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة ، وقد قالوه في الجاهلية للملك ؛ قال الحارث بن حلزة :

وَهُوَ الرَبُّ وَالشَهيدُ عَلى يَو م الحَيارَينِ وَالبَلاءُ بَلاءُ [٩٧]

- قوله تعالى : ﴿العالمين﴾ اختلف أهل التأويل في " العالمين " اختلافا كثيرا، فقال قتادة : العالمون جمع عالم ، وهو كل موجود سوى الله تعالى، ولا واحد له من لفظه مثل رهط وقوم ، وقال العجاج :

فخندف هامة هذا العالم[٩٨]

- وقال جرير بن الخطفي :

تنصفه البرية وهو سام ويضحي العالمون له عيالا

ورواية الديوان :

تنصفه البرية وهو سام ويمسي العالمون له عيالا[٩٩]

- وقال الفراء وأبو عبيدة : العالم عبارة عمن يعقل ، وهم أربعة أمم : الأنس والجن والملائكة والشياطين .
- ولا يقال للبهائم : عالم ؛ لأن هذا الجمع إنما هو جمع من يعقل خاصة ، قال الأعشى :

ما إن سمعت بمثلهم في العالمينا

البيت ليس للأعشى ، وإنما هو للبيد وهو في ديوانه ، وروايته :

ما إنْ رأيتُ ولا سَمعْـ ـتُ بِمِثْلِهِمْ في العالمينا[١٠٠]

---

(٩٧) تفسير القرطبي ١٣٣/١ ، والبيت في ديوانه ١/٨ ، والحياران موضع غزا أهله المنذر بن ماء السماء

(٩٨) خندف : اسم قبيلة من العرب

(٩٩)ديوان جرير ، جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي الكلبي اليربوعي (٢٨ ــ ١١٠ هـ)

- وفي قوله تعالى : ﴿مالك يوم الدين﴾[١٠١] قال القرطبي : " قرأ محمد بن السميقع بنصب مالك ، وفيه أربع لغات : مالك وملك وملك – مخففة من ملك – ومليك ، قال عمرو بن كلثوم :

وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا[١٠٢]

- وقال لبيد بن ربيعة :

فاقنع بما قسم المليك فإنما قسم الخلائق بيننا علامها

- قال القرطبي : " إن قال قائل : كيف قال " مالك يوم الدين " ويوم الدين لم يوجد بعد ، فكيف وصف نفسه بملك ما لم يوجده قيل له : اعلم أن مالكا اسم فاعل من ملك يملك ، واسم الفاعل في كلام العرب قد يضاف إلى ما بعده وهو بمعنى الفعل المستقبل ، ويكون ذلك عندهم كلاما سديدا معقولا صحيحا ؛ كقولك : هذا ضارب زيد غدا ؛ أي : سيضرب زيدا ، وكذلك : هذا حاج بيت الله في العام المقبل ، تأويله سيحج في العام المقبل ، أفلا ترى أن الفعل قد ينسب إليه وهو لم يفعله بعد ، وإنما أريد به الاستقبال ، فكذلك قوله عز وجل : " مالك يوم الدين " على تأويل الاستقبال ، أي سيملك يوم الدين أو في يوم الدين إذا حضر .

---

(١٠٠) ديوان لبيد ، أبو عقيل لَبيد بن ربيعة بن مالك العامِري ، (ت ٤١ هـ/٦٦١م) : ١٣٣/١

(١٠١) الفاتحة ٤

(١٠٢) تفسير القرطبي ١٣٩/١

- ووجه ثان : أن يكون تأويل المالك راجعا إلى القدرة ، أي إنه قادر في يوم الدين ، أو على يوم الدين وإحداثه ؛ لأن المالك للشيء هو المتصرف في الشيء والقادر عليه ، والله عز وجل مالك الأشياء كلها ومصرفها على إرادته ، لا يمتنع عليه منها شيء .
- والوجه الأول أمس بالعربية وأنفذ في طريقها،قال أبوالقاسم الزجاجي :(١٠٣)

حصادك يوما ما زرعت وإنما يدان الفتى يوما كما هو دائن

- وقال آخر :

إذا ما رمونا رميناهم ودناهم مثل ما يقرضونا

وقال آخر :

وأعلم يقينا أن ملكك زائل وأعلم بأن كما تدين تدان

- وحكى أهل اللغة : دنته بفعله دينا (بفتح الدال) ودينا (بكسرها) جزيته ، ومنه الديان في صفة الرب تعالى أي المجازي ، وفي الحديث : (الكيس من دان نفسه) أي : حاسب ، وقيل : القضاء ، روي عن ابن عباس أيضا ؛ ومنه قول طرفة :

لعمرك ما كانت حمولة معبد على جدها حربا لدينك من مضر

- ومعاني هذه الثلاثة متقاربة .
- والدين أيضا : الطاعة ، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

وأيام لنا غرّ طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

(١٠٣) تفسير القرطبي ١/١٤٢

- على هذا هو لفظ مشترك قال ثعلب : دان الرجل إذا أطاع ، ودان إذا عصى ، ودان إذا عز ، ودان إذا ذل ، ودان إذا قهر ، فهو من الأضداد ، ويطلق الدين على العادة والشأن ، كما قال :

كدينك من أم الحويرث قبلها

- وقال المثقب يذكر ناقته :

تقول إذا درأت لها وضيني أهذا دينه أبدا ودِيني[١٠٤]

- وقال زهير :

لئن حللت بجو في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك

أراد في موضع طاعة عمرو، والدين : الداء ، عن اللحياني ، وأنشد :

يا دين قلبك من سلمى وقد دينا

- وفي قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١٠٥]قال القرطبي : " وأقول : إن التقديم يفيد الحصر ، وإن معنى إياك نعبد : لا نعبد إلا إياك .
- يذكر أن أعرابيا سب آخر فأعرض المسبوب عنه ، فقال له الساب : إياك أعني ، فقال له الآخر : وعنك أعرض ، فقدما الأهم .

---

(١٠٤) درأت وضين البعير: إذا بسطته على الأرض ثم أبركته عليه لتشده به والوضين: بطان منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على البعير، والدين: سيرة الملك ، تفسير القرطبي ١/١٤٤.

(١٠٥) الفاتحة ٥

- وأيضا لئلا يتقدم ذكر العبد والعبادة على المعبود ، فلا يجوز نعبدك ونستعينك ، ولا نعبد إياك ونستعين إياك ، فيقدم الفعل على كناية المفعول، وإنما يتبع لفظ القرآن ، قال العجاج :

إياك أدعو فتقبل ملقي واغفر خطاياي وكثر ورقي

- ثم قال : " وأما قول حميد الأرقط :

إليك حتى بلغت إياكا

فشاذ لا يقاس عليه .

- قال القرطبي : " وقرأ عمرو بن قائد " إياك" بكسر الهمزة وتخفيف الياء، وذلك أنه كره تضعيف الياء لثقلها وكون الكسرة قبلها، وهذه قراءة مرغوب عنها، فإن المعنى يصير: شمسك نعبد أو ضوءك ، وإياة الشمس (بكسر الهمزة): ضوءها وقد تفتح ، وقال طرفة :

سقته إياة الشمس إلا لثاته أسف فلم تكدم عليه بإثمد[١٠٦]

- وقرأ أبو السوار الغنوي : " هياك " في الموضعين ، وهي لغة
- قال الشاعر :

فهياك والأمر الذي إن توسعت موارده ضاقت عليك مصادره

(١٠٦) الهاء في (سقته)و(لثاته) يعود على الثغر، وكذا المضمر الذي في (أسف) ومعنى سقته حسنته وبيضته وأشربته حسناو(أسف) ذر عليه و(فلم تكدم عليه) أي لم تعضض عظما فيؤثر في ثغرها.

- وفي قوله تعالى : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم وَلاَ الضَّآلِّينَ﴾[١٠٧]قال القرطبي : " أصل الصراط في كلام العرب الطريق ، قال عامر بن الطفيل :

شحنا أرضهم بالخيل حتى تركناهم أذل من الصراط

- وقال جرير :

أمير المؤمنين على صراط إذا أعوج الموارد مستقيم

- وقال آخر :

فصد عن نهج الصراط الواضح[١٠٨]

- قال القرطبي في قوله تعالى (ولا الضالين) : " الضلال في كلام العرب هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق، ومنه: ضل اللبن في الماء أي غاب؛ قال الشاعر :

ألم تسأل فتخبرك الديار عن الحي المضلل أين ساروا

- وقال : والضلضلة : حجر أملس يردده الماء في الوادي ، وكذلك الغضبة: صخرة في الجبل مخالفة لونه ، قال الشاعر :

أو غضبة في هضبة ما أمنعا

- قال القرطبي : " وقرا أيوب السختياني:" ولا الضألين" بهمزة غير ممدودة، كأنه فر من التقاء الساكنين وهي لغة ؛ قال أبو الفتح : وعلى هذه اللغة قول كثير:

---

(١٠٧) الفاتحة ٧

(١٠٨) تفسير القرطبي ١٤٧/١

إذا ما العوالي بالعبيط احمأرت[١٠٩]

- وفي آمين قال القرطبي : " وفي آمين لغتان : المد على وزن فاعيل كياسين ، والقصر على وزن يمين ، قال الشاعر في المد :

يا رب لا تسلبني حبها أبدا ويرحم الله عبدا قال آمينا

- وقال الآخر :

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أبلغها ألفين آمينا

- وفي القصر قال الشاعر :

تباعد مني فطحل إذ سألته أمين فزاد الله ما بيننا بعدا[١١٠]

(١٠٩)تفسير القرطبي ١٥١/١

(١١٠) القرطبي ١٢٨/١

المبحث الرابع

مسائل خلافية

تناول القرطبي عددا من مسائل الخلاف النحوي واللغوي على النحو التالي :

المسألة الأولى

اختلفوا في أصل شيطان واشتقاقه على النحو التالي :

- قال القرطبي : " الشيطان واحد الشياطين على التكسير والنون أصلية ؛ لأنه من شطن إذا بعد عن الخير، وشطنت داره ؛ أي : بعدت ، وبئر شطون أي بعيدة القعر ، والشطن : الحبل ؛ سمي به لبعد طرفيه وامتداده، وسمي الشيطان شيطانا لبعده عن الحق وتمره ، وذلك أن كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان .
- وقال : " وقيل : إن شيطانا مأخوذ من شاط يشيط إذا هلك ؛ فالنون زائدة، وشاط إذا احترق ، وشيطت اللحم إذا دخنته ولم تنصحه ، واشتاط الرجل إذا احتد غضبا ، وناقة مشياط التي يطير فيها السمن ، واشتاط إذا هلك .
- ثم اختار القرطبي القول الأول مفندا القول الثاني؛ فقال:" ويرد على هذه الفرقة أن سيبويه حكى أن العرب تقول : تشيطن فلان إذا فعل أفعال الشياطين ،فهذا بيّن إنه تفيعل من شطن ، ولو كان من شاط لقالوا : تشيط ".
- والرأي عندي أن هناك افتراضا ثالثا ؛ وهو أن يكون شيطان وزنه فِعلال من شيطن على وزن فعلل ، فيكون فعله رباعيا مجردا لا زيادة فيه ، وهذا أقرب لقياس اللغة ؛ فجمعه شياطين على وزن فعاليل له أمثلة في

اللغة فهو كقنطار وقناطير ، وسربال وسرابيل ، أما القول بأنه من شطن فيكون على وزن فيعال ويكون جمعه بوزن فياعيل ؛ وذلك وزن لا مثيل له ، كما أن القول بأنه من شيط فيكون وزنه فعلان ويكون جمعه على وزن فعالين ؛ وذاك وزن لا وجود له في العربية .

المسالة الثانية

- وفي إعراب بسم الله الرحمن الرحيم اختلفوا أيضا في معنى دخول الباء عليه ، هل دخلت على معنى الأمر ؟ والتقدير : ابدأ بسم الله .
- أو على معنى الخبر ؟ والتقدير : ابتدأت بسم الله ، قولان: الأول للفراء ، والثاني للزجاج .
- فـ " بسم الله " في موضع نصب على التأويلين .
- وقيل : المعنى ابتدائي بسم الله ، فـ " بسم الله " في موضع رفع خبر الابتداء .
- وقيل : الخبر محذوف ، أي ابتدائي مستقر أو ثابت بسم الله، فإذا أظهرته كان " بسم الله " في موضع نصب بثابت أو مستقر ، وكان بمنزلة قولك : زيد في الدار .
- وقيل التقدير : ابتدائي بسم الله موجود ، أو ثابت فـ " باسم" في موضع نصب بالمصدر الذي هو ابتدائي .
- وأرى أن رأي الزجاج ؛ أن تقديره : ابتدأت بسم الله – ويجوز أبدأ بسم الله – هو الأقرب للمعنى أنها تقال عند كل بداية ، في أوائل السور ، وفي

بداية الطعام ؛ وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن أبي سلمة : " يا غلام سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك "[١١١] .

المسالة الثالثة

- واختلف في تخصيص باء الجر بالكسر على ثلاثة معان ؛ فقيل : ليناسب لفظها عملها .
- وقيل : لما كانت الباء لا تدخل إلا على الأسماء خصت بالخفض[١١٢]الذي لا يكون إلا في الأسماء .
- الثالث : ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسما ، نحو الكاف في قول امرئ القيس :

ورحنا بكابن الماء يجنب وسطنا تصوب فيه العين طورا وترتقي

- أي : بمثل ابن الماء أو ما كان مثله .
- وأرى أن تعليلهم لحركة البناء في الباء الجارة لا معنى لـه؛ لأنـه لا يمكن تعليل كل حركة بناء لكلمة مبنية اسما كانت أو فعلا أو حرفـا ، كما أن تعليلاتهم يمكن الرد عليها ؛ فقولهم : ليناسب لفظها عملهـا يقتضي أن تبنى حروف الجر كلها على الكسر ، وأن تبنى حروف
- النصب على الفتح ، وهذا ليس واقعا ، كما أن اللام الجارة تأتي مبنية على الفتح مع الضمائر .

(١١١) صحيح مسلم ١٠٩/٦

(١١٢) تفسير القرطبي ٩٩/١

- وقولهم : لاختصاصها بالأسماء يرده أن تاء القسم تختص بالأسماء بل وبالأسماء الظاهرة دون الضمائر ، وبلفظ الجلالة دون غيره ، وهي مبنية على الفتح لا الكسر .
- أما قولهم : ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسما نحو الكاف ، فأقول : إن كان يعني بذلك حروف الجر المفردة فإن ذلك ليس مطردا ليقاس عليه ، كما أن هناك حروف جر مفردة لا تكون أسماء وهي غير مبنية على الكسر نحو تاء القسم وواه ، واللام إذا ما جرت الضمائر .

المسألة الرابعة

- اختلفوا في اشتقاق الاسم على وجهين ، فقال البصريون: هو مشتق من السمو وهو العلو والرفعة ، فقيل : اسم ؛ لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به ، وقيل : لأن الاسم يسمو بالمسمى فيرفعه عن غيره .
- وقيل : إنما سمى الاسم اسما لأنه علا بقوته على قسمي الكلام : الحرف والفعل ، والاسم أقوى منهما بالإجماع لأنه الأصل ، فلطوه عليهما سمى اسما فهذه ثلاثة أقوال .
- وقال الكوفيون : إنه مشتق من السمة ؛ وهي العلامة ، لأن الاسم علامة لمن وضع له ، فأصل اسم على هذا " وسم " .
- والأول أصح ، لأنه يقال في التصغير سمى ، وفي الجمع أسماء ، والجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها ، فلا يقال : وسيم ولا أوسام .

- ويدل على صحته أيضا فائدة الخلاف ؛ فإن من قال الاسم مشتق من العلو يقول : لم يزل الله سبحانه موصوفا قبل وجود الخلق ، وبعد وجودهم وعند فنائهم ، ولا تأثير لهم في أسمائه ، ولا صفاته ؛ وهذا قول أهل السنة .
- ومن قال الاسم مشتق من السمة يقول : كان الله في الأزل بلا اسم ولا صفة ، فلما خلق الخلق جعلوا له أسماء وصفات ، فالله اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية ، المنعوت بنعوت الربوبية ، المنفرد بالوجود الحقيقي ، لا إله إلا هو سبحانه .
- وقد ردَّ أبو البركات الأنباري قول الكوفين بقوله : " قولهم إنما قلنا إنه مشتق من الوسم ؛ لأن الوسم في اللغة العلامة والاسم وسم على المسمى ، وعلامة عليه يعرف به ، قلنا هذا وإن كان صحيحا من جهة المعنى إلا أنه فاسد من جهة اللفظ ، وهذه الصناعة لفظية فلا بد فيها من مراعاة اللفظ "(١١٣).
- وانطلاقا مما قاله الأنباري أقول : إن عندي رأياً يجمع بين صحة اللفظ والمعنى ؛ وهو أن الأصل في الاسم هو الوسم ، ثم حدث قلب مكاني فصار سمو بوزن علف ، ثم حذفت فاؤه ، ولما كانت سينه ساكنة اجتلب ألف الوصل فصار اسما بوزن اعل ، وعند جمعه ترد

(١١٣)الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ، دار الفكر – دمشق : ٨/١

فاؤه المحذوفة فتكون أسماء بوزن أعلاف ، ومصغّره سميّ بوزن عليف .

المسالة الخامسة

- قال القرطبي : : قوله : " الله " هذا الاسم أكبر أسمائه سبحانه وأجمعها ، واختلفوا في هذا الاسم هل هو مشتق أو موضوع للذات علم ؟
- فذهب إلى الأول كثير من أهل العلم ، واختلفوا في اشتقاقه وأصله ، فروى سيبويه عن الخليل أن أصله إله ، مثل فعال فأدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة .
- قال سيبويه : مثل الناس أصله أناس ، وقيل : أصل الكلمة " لاه " وعليه دخلت الألف واللام للتعظيم ، وهذا اختيار سيبويه ، وأنشد :

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت دياني فتخزوني

- وقال الكسائي والفراء : معنى " بسم الله " بسم الإله ، فحذفوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى في الثانية فصارتا لاما مشددة ، كما قال عز وجل : ﴿لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾(١١٤)ومعناه : لكن أنا ، كذلك قرأها الحسن .
- ثم قيل : هو مشتق من " وله " إذا تحير ، والوله : ذهاب العقل .

(١١٤) الكهف ٣٨

- يقال : رجل وله وامرأة والهة ووالـه ، ومـاء مولـه[١١٥]أرسـل فـي الصحاري ؛ فالله سبحانه تتحير[١١٦]الألباب ، وتذهب في حقائق صـفاته والفكر في معرفته .
- فعلى هذا أصل " إلاه " " ولاه " ، وأن الهمزة مبدلة من واو كما أبدلت في إشاح ووشاح ، وإسادة ووسادة ، وروى عن الخليل .
- وروى عن الضحاك أنه قال : إنما سمى " الله " إلها لأن الخلق يتـألهون إليه في حوائجهم ، ويتضرعون إليه عند شدائدهم ، وذكر عن الخليل بن أحمد أنه قال : لأن الخلق يألهَون إليه (بنصب الـلام) ويـألِهون أيـضا (بكسرها) وهما لغتان .
- وقيل إنه مشتق من الارتفاع ، فكانت العرب تقول لكل شيء مرتفع : لاها فكانوا يقولون إذا طلعت الشمس : لاهت .
- وقيل: هو مشتق من أله الرجل إذا تنسك ، ومـن ذلـك قولـه تعـالى : ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾[١١٧]على هذه القراءة ، فإن ابن عباس وغيره قالوا : وعبادتك .
- قالوا : فاسم الله مشتق من هذا ، فالله سبحانه معناه المقصود بالعبـادة ، ومنه قول الموحدين : لا إله إلا الله ، معناه لا معبود غير الله و" إلا " في الكلمة بمعنى غير ، لا بمعنى الاستثناء .

---

(١١٥) قوله ماء موله بضم الميم وتخفيف اللام ، وقد تشدد اللام مع فتح الواو .

(١١٦) تفسير القرطبي ١/ ١٠٢

(١١٧) الأعراف ١٢٧

- وزعم بعضهم أن الأصل فيه " الهاء " التي هي الكناية عن الغائب ، وذلك أنهم أثبتوه موجدا في فطر عقولهم فأشاروا إليه بحرف الكناية ثم زيدت فيه لام الملك إذ قد علموا أنه خالق الأشياء ومالكها فصار " له " ثم زيدت فيه الألف واللام تعظيما وتفخيما .
- القول الثاني : ذهب إليه جماعة من العلماء أيضا منهم الشافعي ، وأبو المعالي ، والخطابي ، والغزالي ، والمفضل ، وغيرهم ، وروى عن الخليل وسيبويه : أن الألف واللام لازمة له لا يجوز حذفها منه .
- قال الخطابي : والدليل على أن الألف واللام من بنية هذا الاسم ، ولم يدخلا للتعريف ، ألا ترى أنك لا تقول : يا الرحمن ، ولا يالرحيم، كما تقول : ياألله ، فدل على أنهما من بنية الاسم ، والله أعلم .
- وأناقش هذه الآراء المختلفة للوصول إلى أقربها للصواب ، فالقول بأن أصله حرف الكناية أو ضمير الغائب الهاء ، ثم زيدت عليه لام الملك ، ثم الألف واللام تعظيما ، هو قول بعيد عن الصواب لكثرة ما فيه من افتراضات وتحولات .
- كذلك القول أنه من الوله بمعنى التحير ، ومثله القول بأن أصله ولاه ، وأن الهمزة مبدلة من واو كما أبدلت في إشاح ووشاح ؛ فإني أراه بعيدا عن الصواب .
- والقول بأن الألف واللام لازمة فيه ، وأنها من بنية الاسم ، أقول هي لازمة للتوحيد ، فلو أن أصله إله فلزومها يعني أن الله هو الإله ، ولا إله غيره ، أما أنها من بنية الاسم فأقول إنها لم تكن من بنيته في الأصل ،

إلا أنها صارت جزءا منه لما دل على أنه لا إله إلا الله ، وبذلك أتفق مع من قالوا إنه لا يجوز حذفها منه .

- ويتوافق قول سيبويه رواية عن الخليل من أن أصله إلاه ووزنه فِعال ، وأنه كما قال سيبويه مثل الناس أصله أناس ، يتوافق ذلك مع ما ذهب إليه الكسائي والفراء من معنى " بسم الله " بسم الإله ، فحذفوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى في الثانية فصارتا لاما مشددة ، وهو قول معقول لا جدال فيه .
- أما القول بأن أصله لاه ، وأن العرب يقولون لكل شيء ارتفع لاه ، فإني أراه قولا مقبولا إذ خاطبهم الله بشيء قريب من هذا في قوله تعالى : ﴿أَأَمِنتُمْ مَّن فِي السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾(١١٨)فقوله من في السماء يشير إلى الارتفاع ، كما أن القول بأن أصله لاه أسلم من الناحية الصرفية إذ لا حذف فيه للهمزة كما في الإله .

المسألة السادسة

- واختلفوا أيضا في اشتقاق اسمه الرحمن ، فقال بعضهم : لا اشتقاق له ؛ لأنه من الأسماء المختصة به سبحانه ، ولأنه لو كان مشتقا من الرحمة لاتصل بذكر المرحوم ، فجاز أن يقال : الله رحمن بعباده ، كما يقال : رحيم بعباده .

(١١٨) الملك ١٦

- وأيضا لو كان مشتقا من الرحمة [١١٩] لم تنكره العرب حين سمعوه، إذ كانوا لا ينكرون رحمة ربهم ، وقد قال الله عز وجل: " ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـنِ قَالُواْ وَمَا الرَّحْمَـنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾ [١٢٠].
- ولما كتب على رضي الله عنه في صلح الحديبية بأمر النبي صلى الله عليه وسلم : " بسم الله الرحمن الرحيم " قال سهيل بن عمرو : أما " بسم الله الرحمن الرحيم " فما ندري ما " بسم الله الرحمن الرحيم " ! ولكن اكتب ما نعرف : باسمك اللهم ، الحديث .
- قال ابن العربي : إنما جهلوا الصفة دون الموصوف ، واستدل على ذلك بقولهم : وما الرحمن ؟ ولم يقولوا : ومن الرحمن ؟ قال ابن الحصار : وكأنه رحمه الله لم يقرأ الآية الأخرى : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَـنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لآ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [١٢١].
- وذهب الجمهور من الناس إلى أن " الرحمن " مشتق من الرحمة مبني على المبالغة ، ومعناه ذو الرحمة الذي لا نظير له فيها ، فلذلك لا يثني ولا يجمع ، كما يثنى " الرحيم " ويجمع .
- قال ابن الحصار : ومما يدل على الاشتقاق ما خرجه الترمذي وصححه عن عبد الرحمن ابن عوف أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١١٩) تفسير القرطبي ١٠٣/١
(١٢٠) الفرقان ٦٠
(١٢١) الرعد ٣٠

يقول : " قال الله عز وجل أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته " .

- وهذا نص في الاشتقاق ، فلا معنى للمخالفة والشقاق ، وإنكار العرب له لجهلهم بالله وبما وجب له .
- زعم المبرد فيما ذكر ابن الأنباري في كتاب " الزاهر " له : أن الرحمن اسم عبراني فجاء معه بـ الرحيم ، وأنشد قول الشاعر :

لن تدركوا المجد أو تشروا عباءكم بالخز أو تجعلوا الينبوت ضمرانا
أو تتركون إلى القسين هجرتكم ومسحكم صلبهم رحمان قربانا(١٢٢)

- قال أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن : وقال أحمد بن يحيى : " الرحيم " عربي و " الرحمان " عبراني ، فلهذا جمع بينهما ؛ وهذا القول مرغوب عنه .
- واختلفوا هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين ؟ فقيل : هما بمعنى واحد ، كندمان ونديم ؛ قاله أبو عبيدة .
- وقيل : ليس بناء فعلان كـ فعيل ، فإن فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل ، نحو قولك : رجل غضبان ، للممتلئ غضبا ، أما فعيل فقد يكون بمعنى الفاعل كما يكون بمعنى المفعول قال علمس(١٢٣):

فأما إذا عضت بك الحرب عضة فإنك معطوف عليك رحيم

أي : مرحوم .

---

(١٢٢) قائله جرير ، انظر ديوانه ٦٦٣/١ ، والينبوت ضرب من الشجر

(١٢٣) هو علمس بن عقيل كما في هامش بعض نسخ الأصل .

- فـ " الرحمن " خاص الاسم عام الفعل ، و" الرحيم " عام الاسم خاص الفعل ؛ هذا قول الجمهور ؛ قال أبو على الفارسي : " الرحمن " اسم عام في جميع أنواع الرحمة ، يختص به الله ، و"الرحيم " إنما هو في جهة المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾[١٢٤].
- وقال العرزمي[١٢٥]: " الرحمن " بجميع خلقه في الأمطار ، ونعم الحواس ، والنعم العامة ، و " الرحيم " بالمؤمنين في الهداية لهم ، واللطف بهم .
- وقال ابن المبارك :" الرحمن "إذا سئل أعطى ، والرحيم إذا لم يسأل غضب .

(١٢٤) الأحزاب ٤٣

(١٢٥)هو عبد الملك ابن أبي سليمان العرزمي ، كما في الخلاصة .

خلاصة البحث

يخلص البحث إلى عدة نتائج من أهمها :

- المبحث الأول منه ؛ الشواهد القرآنية ، والذي استشهد فيه القرطبي في تفسيره لسورة الفاتحة وعددها سبع آيات ، إضافة إلى الاستعاذة استشهد بنحو أربعين آيةٍ من آي القرآن الكريم من مختلف السور إنما يثبت منهجا واضحا ألا وهو تفسير القرآن بالقرآن ، ويؤكد حقيقة أن القرآن يفسر بعضه بعضا .
- أن ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على وحدة المصدر في القرآن ؛ كما قال الله تعالى : ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾ (١٢٦).
- والمبحث الثاني ؛ مبحث شواهد الحديث يشير إلى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدق رسالته التي بلغها عن الله ؛ إذ تأتي أحاديثه مصداقا لآيات القرآن ، شارحة إياه .
- أما المبحث الثالث ؛ مبحث الشواهد الشعرية فيعبر من ناحية عن أن القرآن قد نزل بلسان عربي مبين ؛ فلا يستغني مفسر للقرآن عن الاستشهاد بأشعار العرب ، ويشير من ناحية أخرى إلى الإعجاز اللغوي للقرآن فقد نزل بلغة العرب الذين اشتهروا بإبداعهم اللغوي فيما نظموه

(١٢٦) النساء ٨٢

من أشعار لا تزال مثيرة للإعجاب فقد تحداهم القرآن بأن يأتوا بمثلـــه ، فلما لم يستطيعوا تحداهم أن يأتوا بعشر سور ، فلما عجزوا تحـــداهم أن يأتوا بآية واحدة ، وأخبرهم بأنهم لن يفعلوا .

- وفي المبحث الرابع ؛ مبحث المسائل الخلافية ، يعبر فيه الباحـــث عـــن نفسه إذ يتأمل عددا من المسائل ، ويدلي فيه برأيه ؛ فيرى أن إحداها لا معنى للخلاف فيها ، ويرى في بعضها أنه من الممكن إضافة رأي ثالـــث وسط بين رأيين ، ويحلل الآراء الواردة فـــي مـــسألة مفنـــدا بعـــضها ، ومستحسنا بعضها الآخر مؤيدا له ، مع تعليله لكل ما يقول به .

قائمة المراجع

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ، دار الفكر – دمشق .
- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٣هـ) .
- تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .
- تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٤ م .
- جامع الأحاديث ويشتمل على جمع الجوامع للإمام السيوطى لجلال الدين السيوطي .
- الجامع الصحيح سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- الحماسة البصرية لصدر الدين أبو الحسن علي بن أبى الفرج بن الحسين البصري .

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٨م .
- الدعاء للطبراني ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .
- ديوان لبيد ،أبو عقيل لَبيد بن ربيعة بن مالك العامِري ،(ت ٤١ هـ/٦٦١م) .
- ديوان النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن مرّة بن عوف بن سعد، الذبياني، الغطفاني .
- سنن أبي داود ،لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥ هـ) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر العربي – بيروت .
- سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ) كتب حواشيه محمود خليل، مكتبة أبي المعاطي .
- سنن البيهقي الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .
- السنن الكبرى للنسائي ،لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت ٣٠٣ هـ) تحقيق حسن عبد المُنعم حسن شلبي ، مؤسسة الرسالة .

- شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، دمشق – بيروت ١٩٨٣م .
- شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي (ت ٤٥٨هـ) تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م
- صحيح البخاري ، الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري(ت ٢٥٦هـ) دار الشعب ، الطبعة الأولى – القاهرة ١٤٠٧ – ١٩٨٧ .
- صحيح ابن حبان ، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي الدارمي البُستي (ت : ٣٥٤هـ) مؤسسة الرسالة .
- صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ،دار الجيل بيروت ، ودارالأفاق الجديدة ــ بيروت .
- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، الطبعة الأولى ، دار صادر – بيروت .
- المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده ، تحقيق خليل إبراهم جفال دار إحياء التراث العربي،الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٩٦م .

- المستدرك على الصحيحين للحاكم محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٠م .
- مسند أحمد بن حنبل ، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ، مؤسسة قرطبة – القاهرة .
- مسند الطيالسي لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود ت ٢٠٤هـ تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩ م .
- مسند أبي يعلي ، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (ت ٣٠٧هـ) دار المأمون للتراث .
- موطأ الإمام مالك ، لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – مصر .